شوقي وقوميته

للأستاذ محمد احمد الغمراوي

— ١ —

أولع شوقي بالدستور ، ودعا إليه مراراً في صراحة وحرارة ، وجلى مزاياه ، ووجه الشعب وجهة صالحة في اختيار نوابه ، وأوحى إلى النواب واجبهم في خدمة الوطن(١)

ولهذا كان يخزع من اختلاف الأحزاب ويطمئن إلى ائتلافها وتناصرها .

لأنه مصري أحب مصر وفخر بها ، ولأنه قومي ، مصر قبلته ، وخيرها وجهته :

وإني لغريد هـذى البطاح تغـذى جناها وسلسالها
ترى مصر كعبة آمالهـا وكل معلقـة قالهـا
أدار النسيب إلى حبها وولى المـدائح إجلالها .

فلم يكن شوقي حزبيا بالمعنى الضيق الذي يغمط الفضل ، ويجحد الكفاية ، ويماري في كل نفع للوطن يجتنيه حزب آخر ، بل كان قوميا يشيد بفضل المحسن من أي حزب ، ويأسى للسيء من أي فريق ، ولذلك اتصل بهؤلاء وهؤلاء ، وراقه عمل هنا فأطراه . وأعجبه عمل هناك ففوه به ، ولم يمنعه ذلك من لوم من أثنى عليهم أمس إذا ما تنكبوا الطريق .

وليس أدل على ذلك من أن خلصاءه كانوا إلى شيع مختلفة ، ومراثيه بالملك ترى رجال من أحزاب متباينة ، ومنهم من فرق بينهم الصراع الحزبي ، وباعد بينهم الملك ، لكن قبلتهم في نظر شوقي واحدة .

(١) الرسالة العددان ٥٩٨ و ٥٩٩

— ٢ —

فى قصيدة (الازهر) سنة ١٩٢٤ يعرج على الشقاق وما جنى ، فيذكر فى مرارة وحسرة أن بعض المصريين شردوا عن الحق ، وتخلفوا عن الجمع ، وكان الاحزم والاكيس أن تقف مصر فى صف واحد كالبنيان المرصوف ، كما وقفت فى الثورة الرائعة من قبل ، وعندئذ ليغلبن الحق الاعزل الباطل المدجج . يقول :

وتفيئوا الدستور تحت ظلاله ... كنفا أعش من الرياض وأنضرا
لاتجعلوه هوى وخلفا بينكم ... وجر دنيا للنفوس ومتجرا
اليوم صرحت الامور فأظهرت ... ما كان من خدع السياسة مضمرا
حظ رجونا الخير من إقباله ... عاث المفرق فيه حتى أدبرا .

— ٣ —

وفى مشروع ٢٨ فبراير يلوم المتفاخرون بما بذلوا من جهود وجهاد فى القضية الوطنية ، لان التفاخر أثرة واعتداد بالنفس وكبرياء ، ومن ورياء ، وشبه هؤلاء بجنود فى جيش مقاتل لمحوا بوارق النصر فألقوا سلاحهم ، واستبقوا إلى الغنائم والمنازعة عليها ، فلا جرم أن يغلبوا ويقتلوا ، كما حدث للسلبين فى غزوة أحد إذ خالفوا النبى ﷺ ، وتركوا أماكنهم وجروا إلى الغنائم ، ففشلوا فهزموا . وعلى المجاهدين أن يدعوا تقدير جهادهم للتاريخ .

ضموا الجهود وخلوها منكرة ... لاتملئوا الشدق من تعريفها عجبا
أفى الوغى وزحى الهيجاء دائرة ... تحصون من مات أو تحصون سلبا
خلو الاكاليل للتاريخ إن له ... يدا تولفها درا ومخشلبا (١)
أمر الرجال إليه لا الى نفر ... من بينكم سبق الانباء والكتبا
أملى على الهوى والحقد فاندفعت ... يداه ترتجلان المناء واللهبا

---

[١] زجاج .

إذا رأيت الهوى فى أمة حكما فاحكم هنالك أن العقل قد ذهبا

— ٤ —

ويظهر أن الفرقة فى سنة ١٩٢٤ كانت ذات وخز أليم لشوقى ، فقد عرض لها مرة ثانية فى قصيدته (شهيد الحق) بمناسبة الذكرى السابعة عشرة لوفاة الزعيم المغفور له مصطفى كامل باشا ، وتناول ما أصاب مصر من انقسام ، جر اليها الضعف والضر ، فهى قلقة لما تستقر ، ونصفها الجنوبى (سودانها) انقطع منها أو كاد ، ونار الفرقة التى تؤرثها الاحزاب تحرق مصر ، والمتنازعون الذين يتراشقون ويترامون انما يصمون أنفسهم ، ويرمون وطنهم ، والحسرة تملأ نفس الشاعر على أنهم تعادوا بعد صفاء ، واختلفوا بعد ولاء ، وقد يستحيل التوفيق بينهم بعدما استشرى بينهم الداء كالسرطان حار فى شفائه الاطباء

إلام الخلف بينكمو إلاما وهذى الضجة الكبرى علاما
وفيم يكيد بعضكمو لبعض وتبدون العداوة والخصاما ؟
وأين الفوز ؟ لا مصر استقرت على حال ، ولا السودان داما
شببتم بينكم فى القطر نارا على محتله كانت سلاما
إذا ماراضها بالعقل قوم أجد لها هوى قوم ضراما
ترامیتم فقال الناس قوم إلى الخذلان امرهم ترامى
وكانت مصر اول من اصبتم فلم تحص الجراح ولا الكلاما
اذا كان الرماة رماة سوء احلوا غير مرماها السهاما
أبعد العروة الوثقى وجند كانياب الغضنفر لن يراما
تباغيتم كانكم خلايا من السرطان لاتجد الضماما

— ٥ —

وليس ادل على فرحته باتحاد كلمتها ، وتوحيد وجهتها من قصيدته (المؤتمر)

التى قالها فى المؤتمر السياسى الذى اجتمعت فيه كلمة الأحزاب على إنقاذ الدستور برياسة الزعيم المغفور له سعد باشا سنة ١٩٢٦ فى دار المغفور له محمود باشا سليمان فنى هذه القصيدة حيا الحرية وشهداءها فى أبيات روائع ثم ازدف البشرى إلى مصر بائتلاف أحزابها، وانها لبشرى تهتز لها مصر كلها حتى نباتها، ويتجدد لها نشاطها وتجمل حياتها، كانها الربيع، وكيف لا تهتز مصر وقد تصافى زعماؤها وتصالحت أقلام كتابها، ومحا الوداد والصفاء ضغائن الصدور، وتناقل المجتمعون من السياسيين عبارات العتبى، وتنقلوا بها حول الموائد، وترقرق فى نظراتهم البشر، فأينما جلت بعينك لا ترى إلا عناقا أو مصافحة، وإنما طرب شوقى لهذا الاتحاد لأنه جمع رجالات الامة لتنتفع بخصائصهم وميزاتهم المتنوعة، ففيهم الجرىء الصريح، وفيهم السياسى الماكر، وربما ينجح الدهاء حيث تخفق الصراحة، ولقد اتحدوا ليعيدوا الدستور المعطل، والامم فى هذا العصر تشيد ملكها على دعائم من الدستور وقوى الرأى العام والديمقراطية لا على الاستبداد والبطش والسيف والرمح، ثم سما شوقى وحلق حيث قرر أن جلال التيجان وجمالها ليس بنوادر الماس، وكرائم الدر وروائع الجوهر، وإنما جلاله بجواهر الدستور، فإنها أروع وأبقى وأجمل، ولا عجب فى تقريزه هذا عن الدستور فله فيه آيات بينات.

بشرى الى الوادى تهز نباته ... هز الربيع مناكب الأدواح
تسرى ملحة الحجول على الربا ... وتسيل غرتها بكل بطاح
التامت الاحزاب بعد تصدع ... وتصافت الاقلام بعد تلاح
سجبت على الاحقاد أذيال الهوى ... ومشى على الضغن الوداد الماحى
ترمى بطرفك فى المجامع لا ترى ... غير التعانق واشتباك الراح
الله الف للبلاد صدورها ... من كل داهية وكل صراح
وزراء مملكة دعائم دولة ... أعلام مؤتمر أسود صباح

يبنون بالدستور حائط ملكهم لا بالصفاح ولا على الارماح
وجواهر التيجان مالم تتخذ من معدن الدستور غير صحاح

ولا يفوتنا ونحن نقطف من هذه القصيدة أن نقف عند وصفه الرائع البارع

شمس النهار تعلى الميزان من سعد الديار وشيخها النضاح
ميلى انظريه فى الندى كأنه عثمان عن أم الكتاب يلاحى
كم تاج تضحية وتاج كرامة للعين حول جبينه اللماح
والشيب منبثق كنور الحق من فوديه أو فجر الهدى المنصاح
لبى أذان الصلح أول قائم والصلح خمس قواعد الإصلاح

ثم عند هذين البيتين اللذين يصور فيهما آثار الائتلاف :

شتى فضائل فى الرجال كأنها شتى سلاح من قنا وصفاح
فاذا هى اجتمعت لملك جبهة كانت حصون مناعة ونطاح

ثم ينصح الشباب ، ويبين لهم جدوى الاتحاد وجريرة التفرقة . فمصر المتحدة صخرة ترتطم بها الحادثات فترتد وتتكسر . ومصر المتفرقة مرضوضة مصدوعة القوى تغلب وتقهر ، يجترى عليها الذين لا أمر لهم ولا نهى ، وان صيحتها وهى متحدة لزئير يرعب ، وصوتها وهى على فرقة بعض نباح لا يرهب ولا يغضب.

أنتم بنو اليوم العصيب نشأتم فى قصف أنواء وعصف رياح
ورأيتمو الوطن المؤلف صخرة فى الحادثات وسيلها المجتاح
وشهدتموصدع الصفوف وماجنى من أمر مفتات ونهى وقاح
صوت الشعوب من الزئير بحمها فاذا تفرق كان بعض نباح

— ٦ —

وفى فبراير سنة ١٩٢٦ احتفل بذكرى مصطفى كامل ، وألقيت فى الحفل قصيدة لشوقى ناجى فيها مصطفى فزف اليه البشرى بأن الأمة موحدة الرأى بعد الفرقة ،

ملمومة الشمل بعد الصدع ، وحد الألم بينها فاستفاقت من الحذر وختل العدو المغتصب ، وجهتها الاستقلال وحده يحرسه الجميع كما تحرس النحل خليتها ، وذكر المؤتمر ثانية وأن العقلاء تتحد أهدافهم وأساليبهم ، وأن مصر بعد الاتحاد ليث يحمى عرينه .

قم تر القوم كتلة ... مثل ملمومة الصخر
جددوا ألفة الهوى ... والإخاء الذى شطر
ليس للخلف بينهم ... أو لأسبابه أثر
ألفتهم روائح ... غاديات من الغير
وصحوا من منوم ... وأفاقوا من الخدر
أقبلوا نحو حقهم ... مالهم غيره وطر
جعلوه خلية ... شرعوا دونها الابر
وتواصوا بخطبة ... وتداعوا لمؤتمر
وقصارى أولى النهى ... يتلاقون فى الفكر
آذنونا بموقف ... من جلال ومن خطر
تسمع الليث عنده ... دون آجامه زأر
قل لهم فى نديهم ... مصر بالباب تنتظر

احمد محمد الحوفى
المدرس بالسعيدية الثانوية